الفصل التاسع والثلاثون

إنّه الأفضل

الثامن والعشرون من أيار عام 2011م

مـا الـذي يمكن قوله؟ مـاذا يمكـن أن نقول أكثـر عن ميسي بعـد نهائي ويمبلي؟ كلّ ما تبقّى علينا قوله عن ميسي، هو أنّه الأفضل ببساطة. حكم حظي بإجماع الكلّ، لدرجة أنّ وسائل الإعلام الإنجليزية والأرجنتينية اتفقت أول مرّة، واستخدمـت كلمة «الملك» لوصفـه. فقد عنونت صحيفة أوليـه صدر صفحتها الأولى بعبارة «فليحمِ اللّه الملكَ»، راكبةً موجة الإعجاب التي تحظى بها العائلة البريطانيـة الحاكمة، في حين كتبـت صحيفة ذا سنداي تايمـز: «حكم الملك ميسـي». ولا ننسـى لحظة تتويجه «ملـكًا لأوروبا» عام 2009م، حيـن تجرّأ أحد الأنصار على منحه لقب ملك إسبانيا في نهائي فالنسيا (بطولة كأس الملك)، على الرغم من وجود الملك خوان كارلوس نفسه على مقاعد المدرّجات.

قـدَّم البرغوث أداءً راقيًا فـي معقل الكرة الإنجليزيـة، كان أداءً فنيًّا راقيًا حقًّا، فيما غادر البريطانيون الملعب مقتنعين أنّهم شهدوا توًّا ما يمكن أن يُسمّى كـرة قدم جميلة بحقّ. إنّها مبـاراة ستحكي عنها الأجيال. أداء منحه لقب أفضل لاعـب في المباراة وطئت قدمـاه أرض الملعب، أداء اضطـر وسائل الإعلام إلى البـوح بكلّ ما في جعبتها من مفردات؛ لتتمكّن مـن وصفه. أداء جعل صحيفة ذا

obeikandl.com

غارديـان تشبّهه بالأداء الذي قدَّمه نيانـدور هيديغويتي على الملعب نفسه، حين سجّل هاتريك ليقود منتخب المجر إلى الفوز على إنجلترا في خريف عام 1953م.

إنّ الأهـم من ذلك كلّه هو الأداء الجماعي الـذي قدَّمه ميسي. فقد أوجد المساحات، وخلخل خطوط الدفاع؛ بغية تدعيم جبهة البارسا، وإحباط الخطة التـي انتهجهـا مانشستـر يونايتد. لقـد استخدم مختلـف أنـواع الذخيرة التي بحوزتـه: الجري السريع، والإمرار من الأطراف تفاديًـا للمنافس، والتمريرات الحاسمـة، والمحـاولات المتكـرّرة لدكّ شبـاك المرمى. ونجح فـي جعل دفاع «الحُمَـر» يستنزف طاقته في الجري، وزاد مـن وتيرة مناوراته ومراوغاته حتى عَـدَّه كلٌّ مـن فيديتش وإيفـرا كابوسًا مزعِجًـا يقض مضجعهمـا. وقد اعترف مدرِّب الشياطين الحُمَر السير أليكس فيرغسون بذلك، في المؤتمر الذي أعقب المبـاراة، قائلًا: «بصراحة، لم نتمكّن من فرض الرقابة على ميسي، كان ذلك بمنزلـة إنـذار واضح بالنسبة إلينـا. لم نستطع إغلاق منطقـة الوسط بصورة كافية تسمح لنا بصدّ هجماتهم».

بـدا البرغوث في بداية المباراة محاصَرًا في ملعبـه، شأنه في ذلك شأن بقية أفراد الفريق. وقد حاول ثلاث مرّات على التوالي خطف الكرة من بارك... لكنّـه تمكّن في الرابعة من المراوغـة ليبدأ البارسا أخيرًا بفرض سيطرته على الملعـب، واختـراق خطّ دفـاع مانشستر يونايتـد وتدميره، مـع المحافظة على أسلوبـه المميَّز، وطريقة لعبه الاستثنائية. نادرًا ما يجري ذلك في نهائي دوري الأبطال. وقد اعترف فيرغسون بذلك قائلًا: «لم يتمكّن أحد من اكتساحنا على هذا النحو من قبل».

عمل ليو إلى جانب تشافي وانيستا، وبدأ ثلاثي الأحلام بإحداث الأضرار، والسيطـرة على الكـرة، حارمينَ مانشستـر يونايتد من أيّ فرصـة. لقد تمكّن الثلاثة من إمتاع الجمهور بإبداعاتهم ودقتهم وسرعتهم.

obeikandl.com

استطـاع وايـن روني تعديـل النتيجة (كان بيـدرو قد مَنَـحَ البارسا هدف السبـق) بمراوغـة رائعة علـى يمين فيكتور فالديـز، مانحًا أنصـار ناديه أملًا مؤقّتًـا. لكنّ ذلك لم يَعُدُ كونه وهمًـا لا يقارَن بما أنجزه البلاوغرانا في الشوط الأول، وبمـا سينجزونه لاحقًا. كلّ ما يحتاجون إليه هو إيجاد التألق من جديد، بإمرار الكرة إلـى الأمام والخلف، والضغط على الخصم بكلّ ما أوتوا من قوة. إنّهم في حاجة إلى وضع حدّ للأمر برمّته، ومَنْ أقدر على فعل ذلك مِن ميسي؟!

نعـود إلى الساحريْنِ الموجودَيْـنِ في منطقة خطّ الوسط؛ إذ يمرِّر تشافي الكـرة إلـى انيستا الذي يمرِّرهـا بدوره إلى ميسـي. يبدو أنّهـا تمريرة لا تفوح منهـا رائحة الخطورة؛ إنّها واحدة من (812) تمريرة للبارسا في هذه المباراة (726 منها صحيحة، والـ 86 المتبقية خطأ). يبعد ليو (35) ياردة عن المرمى. يلمس الكرة ثلاث مرّات، ويتحرّك في العمق لتصبح المسافة (20) ياردة قبل أن يستشعـر دفـاع اليونايتد الخطـر. يحاول إيفرا الاقتراب، لكـنّ ليو يتخطّاه، ثـمّ يُسدِّد بمهـارة وقوة. لقد كانـت تسديدة بالقدم اليسرى مـن خارج منطقة الجـزاء. يلمح صاحـب الأربعين عامًا فان دير سار الكـرة متأخرًا في آخر يوم من مسيرته الطويلة والمجيدة. لا يملك وقتًا للردّ. يقفز ويمدّ جسمه إلى أقصى مـا يستطيع، لكنّ الكـرة ترتد عن الأرض، وتميل لتدخل المرمـى. قال ميسي فيمـا بعـد: «كان لديَّ بعض المساحـة للمناورة، ثمّ تقـدَّم الحارس عن مرماه، ومـن حسن حظـي أنّ الكرة هزّت الشباك». لم يكن ذلـك أجمل أهداف ليو مع البارسـا، لكنّـه احتفل به كما لـم يحتفل من قبل؛ فهو هدف وضـع البارسا في المقدّمة في الوقت المناسب. بدأت آمال مشجعي اليونايتد بالتلاشي، حتى قبل أن يؤكِّد ديفيد فيا الانتصار لاحقًا بهدف من تسديدة مقوّسة بدقة.

صـرخ ليو كالمجنون بعد تسجيلـه الهدف، ثمّ ركل ميكروفونًا منصوبًا في أثناء توجُّهه إلى الراية الركنية، وركل لوحة إعلانية، ولولا أنّ زملاءه في الفريق أمسكوه وعانقوه، لواصل طريقه للاحتفال مع أنصار البارسا على المدرّجات.

لقد سجّل (53) هدفًا في (54) مباراةً خاضها هذا الموسم (31 في الدوري، و 12 في دوري الأبطال، و7 في بطولة كأس الملك، و3 في كأس السوبر الإسباني). وبذا، تساوى بالرصيد مع كريستيانو رونالدو الذي تُوِّج هدّافًا للدوري الإسباني برصيد (40) هدفًا، وهو أمر ليس ذا أهمية للبرغوث الذي يفضّل إحراز البطولات على الألقاب الفردية.

لقد احتل صدارة هدّافي دوري الأبطال برصيد (12) هدفًا، معادِلًا الرقم القياسي الذي بحوزة رود فان نيستلروي. وكان الهولندي قد أحرز عدد الأهداف نفسه رفقة مانشستر يونايتد، في موسم 2002م–2003م. يُذكَر أنّ ميسي تمكّن من التربُّع على عرش هدّافي دوري الأبطال للسنة الثالثة على التوالي. وكان قد أحرز اللقب في موسم 2008م–2009م برصيد تسعة أهداف، وتُوِّج به أيضًا في موسم 2009م–2010م برصيد ثمانية أهداف على الرغم من خروج البارسا من نصف النهائي. يُشار إلى أنّ «القاذفة الألمانية» غيرد مولر، والفرنسي جان بيير بابان، هما اللاعبان الوحيدان اللذان حقّقا هذا الإنجاز من قبلُ.

لقد سجّل (39) هدفًا في (59) مباراة في دوري الأبطال، وذلك يُعَدّ إنجازًا عظيمًا. ليس ذلك وحسب؛ فقد نجح في التسجيل، وكسر النحس الذي لازمه في ثماني مباريات سابقة على الأراضي الإنجليزية. وتعقيبًا على ذلك، قال البرغوث لاحقًا: «قال غابي ميليتو: إنّني سأُنهي صيامي عن التسجيل في الملاعب الإنجليزية في تلك المباراة تحديدًا، ومن حسن حظي أنّني نجحت. إنّ تسجيل هدف في النهائي مرّة أُخرى، ومساعدة الفريق على الظفر بلقب مهم، هو أمر غاية في الروعة، وآمل أنّ الجماهير استمتعت به».

ليو ذو الثلاثة والعشرين ربيعًا، هو هدّاف دوري الأبطال للمرّة الثالثة، ناهيك عن فوزه بأربعة عشر لقبًا أُخرى. ولكن، بعيدًا عن الألقاب والإحصائيات،

فكلّ ذلك لا يعني شيئًا ساعة الجدّ؛ فميسي يَظهر عند الحاجة، ودائمًا ما يقلب المباريات رأسًا على عقب، ويلعب بأقصى جهده.

قال بيب غواردیولا بعد النهائي: «إنّه أفضل لاعب رأيته على الإطلاق، وأعتقد أنّني لن أُشاهد له مثيلًا في المستقبل. باستطاعتنا التنافس على أعلى المستويات، لكنّنا لم نكن لنلعب بهذا المستوى الرفيع لولاه. لقد أثبتنا للجميع أنّه يمكننا بذل قصارى جهدنا، فلدينا الموهبة، لدينا ميسي. إنّه لاعب فريد من الصعب الإتيان بمثله. أتمنى ألّا يتسلّل الملل إلى نفسه، وأن نتمكّن من الاستمرار في توفير سبل الراحة له، وأن يواصل النادي إحاطته باللاعبين المميّزين. أتمنى أيضًا أن يظل سعيدًا في حياته العملية؛ ليواصل تحقيق مزيد من النجاح».

لم يفشل ميسي يومًا، ولم يشعر بالملل، ولا حتى لدقيقة واحدة؛ سواء في مباراة ويمبلي، أو في موسم 2010م–2011م، وهو موسم تميَّز بالصراع الثنائي الأبدي مع ريال مدريد وكريستيانو رونالدو، موسم شهد خمس مباريات كلاسيكو، أُقيمت أربع منها في شهر واحد حافل بالأحداث.

كانت المواجهة الأولى يوم الإثنين الموافق التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني عام 2010م؛ وهو توقيت غير معتاد بسبب الانتخابات العامة لإقليم كاتالونيا المزمع إقامتها يوم الأحد. لذا، كان من الأفضل الابتعاد عن السياسة وإرهاصاتها في تلك الحالة. أشارت الإعلانات الخاصة بالمباراة إلى أنّها ستكون أول كلاسيكو متقارب المستوى منذ أعوام، في إشارة إلى ميل ميزان القوى إلى ريال مدريد، بعد أن كان يصب في مصلحة برشلونة سنوات. لماذا؟ لأنّهم يدَّعون أنّ كريستيانو هو أفضل من ميسي، وأنّ أوزيل عبقري، ولأنّ دي ماريا وبنزيمة من أفضل المهاجمين، ولأنّ مورينيو ليس مانويل بيليغريني ولا بيرند شوستر، ليس خواندي راموس ولا فابيو كابيللو.

كان المـدرِّب البرتغالـي هو مَنْ حطم جهود البلاوغرانـا في أثناء قيادته نـادي الإنتر قبل ستة أشهر، حارمًا غواردیولا وفريقه تذكرةَ الوصول إلى نهائي دوري الأبطال في مدريد. إنّه الرجل الذي اختاره رئيس نادي ريال مدريد لإبطال سحر الكاتالان. مدرِّب يشكِّك مِن على قمّة هرم ترتيب الفرق في الدوري (من دون هزيمة، برصيد (32) نقطة، متقدّمًا على البارسا بنقطة واحدة) بالنجاح الذي حقَّقه البارسا، متهِمًا الحكام والفرق الأُخرى بالتساهل معه.

دعاية معتادة من الرجل الخاص، وتبجّح يكلِّفه غاليًا. ومع نهاية ليلة باردة ماطـرة على كامب نـو، كان يمكن لأهـداف البارسا الخمسة أن تكـون ستة، أو سبعـة، أو حتـى ثمانية بمنتهى السهولة، ومـن دون أن يتمكّن أحد من التشكيك فـي الانتصار. لقد تلاعـب البارسا بالريال في الاتجاهـات جميعها. لقد طوى النسيـان الكـرة التـي سدَّدها كريستيانـو رونالدو مـن على بُعْـد (45) ياردة، وحفّـت عارضة فكتور فالديز مـن الجهة الخارجية، وكذا دفعـه غواردیولا بعد حالـة تسلّل؛ وهي حالة أفضت إلى بعض اللغـط والنقاش بين المدرِّبين. يترك (كريستيانـو) برشلونة مـن دون تسجيل ولو هدفًا واحدًا فـي المباريات الست التي خاضها ضدهم.

لـم يتمكّـن ميسي أيضًا من التسجيـل، منهِيًا بذلك سلسلـة من الأهداف امتـدت إلـى عشر مباريـات، لكنّه كان كريمًـا بصنع الهدفيْـنِ: الثالث والرابع لديفيـد فيـا بدقة متناهيـة. وتلاعب البرغـوث بكارفاليو ولاسانـا ديارا وبيبي وسيرخيـو راموس الذي تلقّـى بطاقة حمراء في الدقيقـة الثانية والتسعين بعد سجـال عنيف مـع الأرجنتينـي، وتوجيه لكمات لكلّ مـن: تشافي وبويـول. فَقَدَ راموس السيطرة على أعصابه، وهو أمر متوقَّع في ظلّ مباراة غلب عليها التوتر والانفعـال، خاصة لدى اقتناع الريال بأنّ الخطـة التي انتهجها مورينو ما زالت فـي طور التطـوّر، وأن أفكاره في حاجـة إلى التعديل، وأنّه مـا زال يجهل كيفية

obeikandl.com

التغلُّب على الغريم الأزلي. أمّا الأمر المثير للاهتمام فكان خسارة فريق يدرِّبه مورينيو بنتيجة (0-5)، وهو أمر لم يحدث من قبلُ.

اتَّسم المدرِّب بالهدوء - أول مرّة- في أثناء انعقاد المؤتمر الصحفي، قائلًا: «إنّها هزيمة من السهل تخطيها. إنّها لا تماثِل تلك المباريات التي خسرناها (مع أنّنا كنّا نستحق النصر)، أو نجحنا فيها بالوصول إلى المرمى كثيرًا. كان هناك فريقان، أحدهما لعب جيدًا، والآخر لم يكن موفَّقًا في اللعب. يتعيّن علينا التحلّى ببعض المنطق؛ يمكنك أن تبكي سعادة عندما تفوز بألقاب مهمة. ولكن، عندما تخسر بالطريقة التي خسرنا بها اليوم، فلا يحقّ لك البكاء، ويتعيّن عليك تكملة المشوار. سنعود أقوى ممّا كنّا». ولكن، يتعيّن على هذا الرجل الخاص الانتظار حتى السادس عشر من شهر نيسان عام 2011م؛ موعد المواجهة الثانية مع البارسا، والمواجهة الأولى في ماراثون من مباريات الكلاسيكو.

استطاع أفراد فريق بيب الحفاظ على صدارة الترتيب من التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني حتى نهاية الدوري. لقد تمكّنوا من كسر الرقم الذي كان قد حقَّقه ريال مدريد في موسم 1960م-1961م (فريق ضم بوشكاش، ودي ستيفانو، وجينتو، وسانتا ماريا) بتسجيل (16) انتصارًا على التوالي، مبتعِدًا عن الغريم الأزلي بفارق (8) نقاط. وفي الثاني عشر من شهر نيسان؛ أي قبل أربعة أيام من الكلاسيكو الثاني، تمكّن البارسا من هزيمة شاختار دونيتسك ذهابًا بنتيجة (0-1)، وإيابًا بنتيجة (0-5)، ليصل بذلك إلى نصف النهائي، حيث شاءت الأقدار أن يصطدم بريال مدريد الذي نجح بتخطي نادي ليون في ثُمن النهائي، وتوتنهام هوتسبيرز في ربع النهائي بسهولة (0-4) في البرنابيو، و (0-1) على ملعب وايت هارت ليـن). إذن، لدينا الآن مباراتان أُخريان، إضافة إلى مباراتي الدوري الإسباني، حيث من المقرّر أن

يلتقي الفريقان في ذهاب نصف نهائي دوري الأبطال في السابع والعشرين من شهر نيسان، في حين تُلعب مباراة الإياب في الثالث من شهر أيار. يضاف إليها مباراة خامسة في نهائي بطولة كأس الملك تُقام في العشرين من شهر نيسان.

لنبدأ في مباراة الجولة الثانية والثلاثين من الليغا، التي تُعَدّ الأمل الأخير لفريق مورينيو للمنافسة على اللقب. ثماني نقاط فرق كبير. ولكن، مَنْ يدري؟ فإذا تمكّن الريال من الفوز فقد ينجح في تحطيم معنويات غريمه، وقد يؤثّر فيما تبقّى من الموسم. يُذكَر أنّ الريال عانى خسارة مريرة أمام سبورتينغ (خيخون) في الثالث من شهر نيسان أبعدته عن المنافسة، خسارة هي الأولى لمورينيو على أرضه خلال تسعة أعوام. لكنّ للكلاسيكو حسابات مختلفة؛ فمورينيو حضَّر للمباراة بعرض مسرحي من إنتاجه.

لقد ظهر في الليلة التي سبقت المباراة، في القاعة الصحفية بضاحية فالديبياس بمدريد، لكنّه لا ينبس ببنت شفة، تاركًا مهمة الحديث لمساعده إيتور كارانكا. إنّه لا يقوم حتى بتحية الصحفيين الذين يغادر بعضهم احتجاجًا. رَدّ غواردیولا على صمت منافسه بإغداق المديح على الريال: «لم أعرف فريقًا لريال مدريد أكثر روعة وتميُّزًا من الفريق الحالي. يمكن للاعبيه نقل الكرة من مرمى كاسياس إلى مرمى المنافس في غضون أربع أو خمس ثوانٍ. إنّهم أفضل وأقوى ممّا كانوا عليه حين تقابلنا آخر مرّة. يسدِّدون أكثر، ويمرِّرون أكثر، ويلعبون ضمن الفريق بصورة أكبر منذ النصف الثاني من الموسم. ويستخدمون تكتيكات متنوعة تجعل السيطرة عليهم أمرًا أكثر صعوبة». ثمّ يضيف واصفًا مدرِّبهم: «مورينيو قوي جدًّا. إنّه يجيد اللعب بأساليب مختلفة. يتعيّن علينا أن نكون يقظين؛ لأنّهم يعرفون طريقتنا في الدفاع والهجوم».

زاد حضور البرتغالي من السخونة والتوتر اللذيْنِ يميِّزان الأجواء. سيكون

– من دون شكّ– البطل الحاسم في مباراة الكلاسيكو خارج الملعب. أمّا على أرض الملعب، فذلك دور ميسي. نجح صاحب الرقم (10) في تسجيل (48) هدفًا في (45) مباراة لعبها هذا الموسم. إنّه أكثر لاعبي البارسا تسجيلًا في موسم واحد، بعدما نجح في تحطيم الرقم الذي حقَّقه البرازيلي رونالدو مع الفريق في موسم 1996م–1997م بقيادة بوبي روبسون. وأنّه متقدِّم على كريستيانو رونالدو بثلاثة عشر هدفًا. قام البرغوث أيضًا بصنع (18) هدفًا مقارنة بِـ (7) أهداف صنعها كريستيانو، و(43) اختراقًا ناجحًا مقابل (34) اختراقًا للبرتغالي، لكنّ مشاركته في الفريق تتعدّى مجرّد الأرقام. يؤكِّد فكتور فالديز هذا الأمر بقوله: «يمنحنى ميسي أكثر من مجرّد الأهداف؛ إنّه يدعم الفريق دفاعيًّا وهجوميًّا. عمله الدؤوب يوجِد جوًّا إيجابيًّا للجميع».

إنّه يُظهِر مهارةً وعملًا جماعيًّا أكبر كلّما لعب. يندمج في الأجواء بصورة أكبر، ويعرف متى يسرِّع وتيرة اللعب، ومتى يبطِّئها. يشرح غواردیولا ذلك قائلًا: «إنّه يحوِّل ما هو عادي إلى شيء استثنائي». لكنّه لم ينجح في التسجيل في مرمى فريق يدرِّبه مورينيو، حيث ستكون هذه المباراة هي التاسعة في المواجهات بين الرجلين.

يقرِّر الحكم ركلة جزاء في الدقيقة الثانية والخمسين. فقد عرقل إلبيول ديفيد فيا أمام المرمى، فتلقّى بطاقة حمراء، وميسي – كما هو معروف– لا يضيِّع ركلات الجزاء. وكذا فعل غريمه كريستيانو رونالدو في الدقيقة الثانية والثمانين؛ ركلة جزاء أُخرى تعدِّل النتيجة. إنّه هدفه الأول في مرمى البارسا في المباراة السابعة التي يخوضها أمامهم.

انتهت المباراة الهزيلة بالتعادل (1–1). فقد تقوقع الريال فيما تبقّى من دقائق في منطقته الخلفية؛ خشية استقبال هدف ثانٍ، وقد نجح في ذلك

مـن جرّاء تطبيقه أسلـوب الكاتيناتشو (مصطلح إيطالـي يعني مزلاج الباب) الدفاعـي المشهـور لـدى الطليان. الطريقـة الوحيـدة للفوز عنـد اللعب بهذا الأسلـوب، هي الاعتمـاد على الهجمـات المرتدة. وعلى الرغم مـن التقدُّم في البداية، والوقت المضاف في النهاية، إلّا أنّ البارسا فشل في تحقيق الفوز. لقد كان تعادلًا وضع البارسا قاب قوسين أو أدنى من الفوز بالدوري الإسباني للمرّة الحاديـة والعشرين، وزاد من ثقة الريال فـي الاستحقاقات القادمة؛ ثقة كبيرة جعلت جماهير البرنابيو تحتفي بالتعادل كما لو أنّ فريقها قد حقَّق انتصارًا.

كانت مباراة شاقة أثارت الكثير من الجدل؛ جدل بدأه مورينيو الذي انتقد الحكـم فـي المؤتمر الصحفي، وأشـار إلى وجود مؤامرة تُحـاك ضد أيّ فريق يدرِّبـه؛ سواء تشيلسـي، أو الإنتر، أو الريال: «سئمت مـن إنهاء المباريات أمام البارسا بعشرة لاعبين. كانت مباراة متوازنة عندما كنّا نلعب بأحد عشر لاعبًا. وكمـا جرى عليه الحال، أصبحت المهمـة مستحيلة عندما تلعب بعشرة لاعبين أمام فريق يمتلك أفضل استحواذ على الكرة في العالَم. لقد شهدت مرّة أُخرى على تحيُّز الحكام».

بعيـدًا عـن مورينيو، هنـاك أمر آخـر يثير الجـدل، ويخصّ ميسي هذه المرّة، بعدما ركل الكرة في اتجاه المدرّجات. فبعد أن فلتت منه الكرة، وتعدّت خـطّ الجانب، وبدلًا مـن تركها، أخذ يسدِّدها صـوب المدرّجات لتصيب بعض الجماهيـر. لم يوجِّـه إليه الحكـم أيّ تحذير، لكنّ الجماهيـر تصرخ غاضبة. فيسرع بيبي نحـوه، ويسأله: «أمجنون أنت؟». الجمهور في حيرة لا يكاد يصدّق مـا رآه توًّا. ما الذي أصاب فتى روزاريو الذي نادرًا ما يفقد أعصابه على أرض الملعب؟ لماذا قام بحركة مشينة مثل تلك؟

لا يوضِّح ليو هذا الأمر، ولا يبدو عليه الندم حيال ما فعل. وفي هذه الأثناء، اندفع زمـلاؤه لحمايته. وقد عزوا الأمر إلى التوتر الشديد الذي يسود الملعب،

obeikandl.com

إلـى جانـب الرقابـة اللصيقة التـي يفرضها عليه بيبـي، فضلًا عـن الأخطاء الخمسة التي ارتكبها ضده لاعبو خطّ وسط الريال من دون الحصول على إنذار واحد. يستمر هذا المسلسل الطويل، وتستمر معه الأحداث نفسها.

إنّـه العشـرون من شهر نيسان، موعـد مباراة نهائي بطولـة كأس الملك. يمكننا تقسيم المباراة إلى ثلاثة أجزاء: شوط أول رائع للريال، وسيطرة مطلقة للبارسـا في الشـوط الثاني، وشوطـان إضافيـان يمنحان كريستيانـو رونالدو ومدرِّبه النصرَ.

التفّ صاحـب الرقم (7) حول أدريانو، محـوِّلًا عرضية دي ماريا الملتفة إلـى المرمى بقوة. إنّه هدف الفوز الذي منـح الريال لقب كأس الملك أول مرّة منذ (18) عامًا.

أيـن كان ميسي؟ توضِّـح صحيفة إل باييـس أداء البرغـوث بالآتي: «كان يائسًـا. لقـد حاول صنع الحدث أينمـا تحرّك في خطّ الهجـوم، لكنّ الحظ لم يحالفـه قطّ؛ إذ نجـح دفاع الريـال في التصـدي لمراوغاته كلّهـا. لقد تحكّم البرغـوث في المباراة على نحوٍ مبالَغ فيه. ومـع أنّ الفريق لم يتمكّن من تدوير الكـرة في أثناء الشوط الأول، لكن الحال تغيّر في الشوط الثاني، وتمكّن لاعبوه من إمرار كـرات رائعة إلى بيدرو في العمق. ولكن، يا للأسف! فالهدف الوحيد الـذي تمكّن هذا الأخير من تسجيله أُلغِـي بداعي التسلّل. في نهاية الأمر، عمد علـى استغلال موقعـه قائدًا للفريق، فـي محاولة للسيطرة علـى اللعب بصورة مبالَـغ فيها، وذلك أتاح للريال حسم المباراة». إنّه تقييم عادل، وإنّه أول نهائي يخسره البارسا بقيادة غواردیولا.

ستقـام مبـاراة ذهاب نصف نهائـي دوري الأبطـال بعد المبـاراة الآنفة الذكـر بأسبـوع. استشاط بيـب غواردیولا غضبًا فـي أثناء المؤتمـر الصحفي

الـذي سبق مباراة البرنابيـو. وكان مورينيو قد وجَّه إليه رسائـل بشأن مستوى التحكيم في مباراة ملعب ميستايا (نهائي بطولة كأس الملك)، والحكم المختار لقيـادة نصف النهائي. انفجر غواردیـولا، وتحدث بحنق أكثر من دقيقتين؛ إنّه أسلـوب لم نألفه من المدرِّب الشـاب الذي استهلّ حديثه قائـلًا: «لأنّ مورينيو رفع التكليف، وناداني «بيب»، فسأدعوه «جوزيه». لدينا مباراة نلعبها مساء الغد عند الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة. لقد أحرز انتصارات خارج الملعب منـذ بداية الموسم. فليفز بدوري الأبطـال. بإمكانه أخذ الكأس معه إلى البيت إن أراد. سنلعـب؛ سواء فزنـا، أو خسرنا. إنّه يفوز عـادة؛ لأنّ مستقبله المهني مضمـون في النهاية. أمّا نحـن فسعداء بالانتصارات الصغيـرة التي نحقّقها، وتدخِل السعادة في قلوب الجميع، إنّنا سعداء وراضون. إنّه الرئيس الملعون في هـذه الغرفة؛ الأستاذ اللعين. إنّه يفقه أكثر مـن الآخرين ولو اجتمعوا. لا يوجد لديّ أدنى رغبة لمنافسته في مجاله».

كان ليونيـل ميسـي هو الأستاذ علـى أرض الملعب في اليـوم اللاحق. أمّا مورينيو فأستاذ في المؤتمر الصحفي بطبيعة الحال. لعبتان ناجحتان، وهدفان مـن الأرجنتيني الـذي نجح في تدمير ريال مدريد، الـذي يلعب بتحفّظ دفاعي واضـح. حـاول البلانكوس وقـف ميسي منـذ البدايـة، لكنّه لم يحـاول فرض أسلوبه، لدرجة جعلت كريستيانو رونالدو يشير بيأس إلى زملائه بعد ربع ساعة من اللعب كي يتركوا مواقعهم ويساندوه في صنع الفرص. كان كريستيانو نفسه هو مَنْ صنع أخطر فرصة للريال قبل نهاية الشوط الأول بقليل. فقد سدَّد الكرة بقـوة من مسافـة بعيدة جدًّا، مُزعِجًا فكتـور فالديز، وهو إزعـاج لم يتكرّر في المبـاراة إلّا لاحقًـا بتسديدة من أوزيل. ولكن، حتى تلـك اللحظة، كانت فرصة رونالدو هي الوحيدة الجديرة بالذكر.

على الطرف الآخر، نجد ميسي يلعب في العمق كأنّه لاعب خطّ وسط بسبب الرقابة المفروضة عليه؛ بغية إبعاده عن منطقة الجزاء، حيث يمكنه إحداث الأضرار. أمضى الوقت بالجري والمراوغة اللذيْنِ لم يسفرا عن شيء. لكنّ الوضع تغيّر في الدقيقة الستين حين أعاق بيبي داني ألفيش بعنف، فنال بطاقة حمراء. لم تُثنِ مناقشاته الحكم الألماني فولف غانغ ستارك عن العدول عن رأيه. لم يتردّد الحكم أيضًا في طرد مورينيو إلى المدرّجات بعدها بدقيقتين نتيجة رَدّة فعل مبالَغ فيها من طرف هذا الأخير.

يلعب فريق البارسا الآن بصفوف كاملة أمام فريق الريال المنقوص، وقد تمكّن ليو من الوصول إلى منطقة جزاء المنافس، ثمّ حام بين لاعبي الريال في الدقيقة السابعة والسبعين كنحلة لا مبالية ليصل إلى حافة منطقة الجزاء، ويسدِّد. ارتدّت الكرة، لتصل إلى تشافي الذي يمرِّرها نحو أفيلاي على الجناح، فيجري لاعب الوسط الهولندي، ويلعبها عرضية من عند الراية الركنية في اتجاه نقطة الجزاء. وفي هذه اللحظة، يسبق ميسي سيرخيو راموس في الوصول إلى الكرة، فيغمزها بطرف قدمه في المرمى، لتصبح النتيجة (1-0). ثمّ يعاود البرغوث الكَرّة بعد عشر دقائق. الأمر أكثر روعة هذه المرّة؛ إذ انطلق من دائرة الوسط، ثمّ مرَّر الكرة إلى بوسكيتس الذي أعادها إليه، ليتسلمها ويبدأ مشوارًا متعرِّجًا، متجاوزًا راموس، ومتخلِّصًا من إلبيول، ثمّ غيَّر الاتجاه، ودخل منطقة الجزاء، وأخذ يراوغ مارسيلو، ثمّ وضع الكرة في المرمى على نحوٍ رائع قبل أن يتمكّن راموس من اللحاق به.

انتهت المباراة، وكان ميسي أستاذًا بحقّ في هذه المباراة تحديدًا. وفي المقابل، فقد تفوَّق مورينيو على نفسه مرّة أُخرى في فنون الاستفزاز، وأصر على تزعُّم المؤتمر الصحفي، قائلًا: «لقد أُقصي ريال مدريد من دوري الأبطال. سوف نذهب إلى كامب نو برؤوس مرتفعة، وباحترام كامل لعالَم كرة القدم

الـذي نعيش فيه، مع أنّـه عالَم يشعرني بالاشمئزاز في كثير من الأحيان. سوف نذهـب من دون بيبي الذي لم يقترف أيّ خطأ طوال المباراة، ومن دون راموس الـذي لم يرتكب خطـأً هو الآخر، ومن دون المدرِّب الذي لن يُسمح له بالجلوس على الدكّة... وبنتيجة لا يمكن تعديلها. وفي حال تمكّنا هناك من تسجيل هدف، وأنعشنـا فرصتنا بأيّ شكل من الأشكال، فأنا متأكّـد أنّهم سيسحقون أحلامنا مـرّة أُخرى. سؤالي هو: لماذا؟ لماذا لا يُسمَح للفرق الأُخرى بمنافستهم؟ أنا لا أفهم الأمر! لو قلت للحكم والاتحاد الأوروبي رأيي فيما حصل اليوم هنا لانتهت مسيرتـي المهنية في الحـال. لا أعرف إذا كان الأمر يتعلّـق برعايتهم لمنظمة اليونيسيـف، أو بابتسامتهم الأكثـر عذوبة، أو بفيار (رئيـس الاتحاد الإسباني لكـرة القدم) الذي يحظى بسطوة كبيرة على الاتحاد الأوروبي. في واقع الأمر، إنّهم يمتلكون شيئًا يصعب التغلّب عليه؛ ألا وهو النفوذ.

لمـاذا طُرِد بيبي؟ لمـاذا لم يُمنَح تشيلسي أربـع ركلات جزاء يستحقها؟ لمـاذا طُرِد فان بيرسـي؟ لماذا طُرِد موتـا؟ من أين يأتون بذلـك النفوذ كلّه؟ يجـب أن يكون نفوذهـم نابعًا من مهارتهـم في كرة القدم؛ فهـم يمتلكون تلك المهـارة، ويجب أن يفـوزوا بسببها. على المرء أن يكون حقيـرًا ليستمتع بذلك النـوع مـن الانتصـارات. غواردیولا مدرِّب عظيـم، لكنّه فـاز ببطولة في دوري الأبطـال بطريقة أخجـل أن أفوز بها. فاز بها بفضـل فضيحة جرت على ملعب ستامفـورد بريدج. وسوف يفوز هذا العام ببطولة ثانية بفضل فضيحة ستجري علـى ملعب البرنابيو. لذا، أتمنى أن يحظى غواردیولا يومًا بفرصة الفوز بدوري الأبطال على نحوٍ مشرِّف ونظيف؛ فهو يستحق ذلك».

قـدَّم مورينيـو عرضًـا مميَّزًا. لقـد ألقى خطبـة شديدة اللهجـة ستكلِّفه غاليًـا مرّة أُخرى. فقـد غرَّمته لجنة الانضباط التابعة للاتحـاد الأوروبي مبلغ (50,000) يـورو في السادسـ من شهر أيار، وأوقفته خمسـ مباريات، بما في ذلك تلك المباراة.

فـي يـوم الثالث من شهـر أيار – موعد إياب نصـف النهائي في كامب نو – اختفـى مورينيو عـن المدرّجات، لكنّه كان يشاهد المبـاراة عن طريق التلفاز من غرفته في الفندق. لقد أخذ يتابع فريقه، وهو يلعب بطريقة أكثر جرأةً وطموحًا من بقية مباريات الكلاسيكو. تمكّن لاعبوه من إرغام البارسا على التقوقع في مناطقه الخلفية، وتمكّنوا من محاصرتهم في نصف ملعبهم في ربع الساعة الأولى.

لكنّ البارسا تمكّن من فرض أسلوبه شيئًا فشيئًا. وتمكّن ميسي أخيرًا من الانفـراد بكاسياس الـذي صَدّ ثلاث محاولات بمهارة فائقـة في خمس دقائق، مُبقِيًـا على آمال فريقه. لم يتمكّن ميسي من التسجيل هذه المرّة، لكنّه يواصل الجـري والضغط. ثمّ يتسبّب في تحذير لكارفاليو، وفي بطاقتين صفراوين لكلّ من: ألونسو، وأدريايور. لقد تعرّض للعرقلة (12) مرّة، وبدا محطمًا تمامًا. لقد كان عامـلاً حاسمًا في تأمين بطاقة العبور إلى ويمبلي، في المباراة التي انتهت بنتيجة (1–1) على الرغم من أنّه لم يسجّل.

وفـي الوقت الـذي يحتفل فيه البلاوغرانا بعد شهـر مُضنٍ، انشغل الريال بالشكـوى مـن تحيُّـز الحكم، ومـن وجـود شبكة خفيـة رجَّحت كفّـة غريمهم التقليـدي مرّة أُخرى. واحتـج الريال على الهدف المُلغى الـذي سجّله غونزالو هيغوايـن بحُجَّة وجود خطأ مزعوم على كريستيانو. يبـدو أنّ الجميع قد تعلّموا أسلـوب مورينيو في الخطابات النارية، بـدءًا بكارانكا، وانتهاءً بإيكر كاسياس. وقـد أكَّد كريستيانـو رونالدو هذا الأمر بقوله: «هذا هـو الجزء الرابع من فيلم «مهمة مستحيلة». يمتلك البارسا فريقًا عظيمًا، لكنّ أمورًا أُخرى تجري هنا. لا أقصد التلميح إلى وجود فساد ما، لكنّ الأمر يزعجني».

فـي خضـم هذا الصخـب كلّه، ركـب ميسي موجـة السعادة التـي تجتاح ملعـب كامب نو. وعندما بـدا أنّ الإثارة ستطغى على السطـح، اقترب منه بيب غواردیولا، ثمّ عانقه بحرارة.

حـان وقت الاحتفال مرّة أُخرى في الحادي عشر مـن شهر أيار؛ إذ تمكّن البارسـا من الفوز بالـدوري الإسباني للمرّة الثالثة علـى التوالي بعد تعادله مع ليفانتي بنتيجة (1-1) على ملعب سيوداد دي فالنسيا. وقد علَّق ميسي على هذه المناسبة، قائلًا: «لقد كان موسمًا صعبًا جدًّا، عملنا فيه بأقصى طاقتنا للتغلّب علـى غريمنا الأزلي ريال مدريد. لقـد واجهتنا ظروف صعبة جدًّا، لكنّنا عرفنا كيف ننتفض، ونصل القمّة».

ولكن، حين تسلّـم ميسي الميكروفون في الاحتفال الذي أُقيم يوم الجمعة علـى كامب نو، صـرخ قائلًا: «مـن الرائع الاحتفـال بالفوز بلقب الـدوري مرّة أُخـرى، لكنّني سأحتفظ بتعليقاتي حتـى التاسع والعشرين حين نعود من لندن. عندها فقط سأخبركم عن شعوري».

وفـى ليـو بوعده قبـل الموعد بيـوم. إنّه فـي ويمبلي والكرة عنـد قدميه. فـرح كثيرًا عندما عرف بشأن الحركة النبيلة التـي ينوي كارلوس بويول القيام بها،؛ إذ قرَّر هـذا الأخير مَنْحَ المدافِع إيريك أبيدال شارةَ القيادة؛ لكي يتمكّن الفرنسي من رفع الكأس. يا له من موقف نبيل حيال الرجل الذي تعافى توًّا من سرطـان الكبد، الذي كان قـد شُخِّص لديه في شهـر آذار الفائت، لكنّه خضع لعملية جراحية، وها هو ذا يعود إلى اللعب في معقل كرة القدم (ملعب ويمبلي)! يحضـن ميسي الكأس ضاحكًا، رافعًـا ثلاث أصابع دلالة على الكؤوس الأوروبية الثـلاث التي فاز بها. ثمّ يخبـر الجميع بأنّها كانت مباراة لن ينساها أبدًا: «كنّا الأفضـل اليـوم، وفزنا بجدارة. إنّ مـا حقّقه هذا الفريق هو أمـر خارق. لست متأكّـدًا إذا كنّـا قـد استوعبنا الأمر حتى هـذه اللحظة. نريد فقـط أن نواصِل الفـوز. والآن، لقـد حـان وقت الإجـازة، أو بالأصـح المشاركة فـي بطولة كوبا أمريكا. ولكن، حالما نعود، سنواصل من حيث انتهينا».